

الرسالة الثانية عشرة التي أرسلها فضيلة الشيخ محمد زيد المظاهري

الندوى إلى فضيلة الشيخ سعد الكاندهلوي

تعريب: سعود عالم القاسمي، استاذ التفسير والأدب بجامعة علوم القرآن، جمبوسر

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الشيخ سعد المؤقر حفظه الله تعالى وورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

متعك الله تعالى بدوام الصحة والعافية وسلمك من جميع الشرور والآفات

لقد تسلمت ما كتب إليك كاتب هذه السطور رسالة تحتوي على أربع عشرة صفحة بالبريد الخاص المعروف بكوريئر وذكرت فيها أن ما ألقىت من خطب ونصائح نشرتها كتيبات وسمعتها أذناي أيضا فمعظم الأقوال تخالف كتاب الله وسنة رسوله وتنحرف عن جادة جمهور أهل السنة والجماعة كذلك بعض منها يخالف ما صرح به فقهاء الأمة ومحدثوها وأنت تكثر من تقديمه وذلك يسبب وصول الرسالة السيئة إلى الأمة وكنت دعوتك: إني أقدم إليك المقترحات فيما بعد؛ فهذه هي الرسالة تفي بما وعدتك من إرسال الرسالة.

إني ألتمس من حضرتك أن تلاحظ أحسن ملاحظة بكل اتران ورزانة والتوجه إليها لو كانت الأمور ان تفتقر إلى إصلاحها وتعديلها أرجو إلى الرجوع والإعلان بتدارك ما فات في خطب جنابك حتى لا تصاب الأمة بسوء الفهم والضلالة.

أحب أن أحيط علما إلى حضرتك إنما دفعني الشعور بالفرائض الدينية وعاطفة أداء واجباتي أن اكتب وأقدم واعلم فهذه السطور ليست مما أسفر عن نزاع وعناد بيني وبينك ولا عن حماية فئة دون فئة ولا امتثال لأي شخص ثم لما تم كتابتها قدمت إلى أهل العلم ثم أرسلت إليك بعد ما أعرب كبار الأمة عن التأييد والإطمينان وبقيت بعض الأقوال الأخرى في خطة الكتابة لو أتيتحت لي فرصة أكتبها إن شاء الله تعالى ولا أعتمد على الفهم النفسي بل أرسلها إليك بعد ملاحظة كبار العلماء، إن شاء الله تعالى. ألتمس من حضرتك تقديم هذه الكلمات إلى العلماء الموثوق بهم لديك أو إلى دار الإفتاء وأن تطلب آراءهم في صدد ذلك.

لاسمح الله تعالى لو فهمت شيئا غلطا أو أخطأت في الكتابة أرجو من حضرتك أن ترشدني إلى ما هو الصواب لدى حضرتك، إني أصلحها وأرجع عنها أرجو أن تفضل بقبول طلبات كاتب هذه السطور.

والسلام عليكم

أخوكم المخلص محمد زيد المظاهري الندوي

استاذ الحديث بدارالعلوم التابعة لندوة العلماء لكاناؤ

٧/محرم الحرام ١٤٣٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وقفة نظرة خاطفة على مقتطفات وخطب ألقاها فضيلة الشيخ سعد المؤقر في اجتماع عقد في لهربور ١٤٣٥ هـ

[١] التبليغ بالوسائل الجديدة والأشياء التقليدية

ظل الأسلاف المتقدمون والمتأخرون والمحدثون يكتبون حتى أوضح المفكر الإسلامي فضيلة الشيخ أبي الحسن على الندوي أيضاً في مقالته أن الشريعة الإسلامية تحتوي على أمرين الأول الوسائل والثاني المقاصد، فالأمور التي تتعلق بالمقاصد وضعت لها الشريعة الإسلامية منهجاً خاصاً لا يتطرق إليه التبدل والتغير مثل كميات الصلوات وكيفياتها وتعداد ركعاتها ونحو ذلك ومثل هذا النوع عبّره الفقهاء بالأمور التعبدية. وللشريعة أحكام كثيرة لم تضع الشريعة طريقة خاصة لها ولم تقيد بمنهج دون منهج، إنما قيدتها بالشرائط والحدود مثل هيئة الملابس وشكلها أجازت الشريعة مقيدة بحدودها مثلاً النهي عن اسبال الإزار على الكعب وكشف العورة ومثل ذلك فمنحت الشريعة للناس الخيار في الوسائل والأسباب حسب ما تقتضيه الأحوال والأزمنة فإختيار الصالح القديم مع الجديد النافع ما أجازته الشريعة فحسب بل ترغب السنة النبوية عملاً بالأخذ بالجديد في بعض الأحيان يجب اختيار الجديد النافع إذا مسته الحاجة إلى الضرورات الشرعية.

فوقاً لما صرح به فقهاء الإسلام والعلامة الندوي أن الجهاد وجميع أنواعه والدعوة والتبليغ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعليم والتزكية والإحسان كل من ذلك محمول على هذا النوع أي الوسائل ويمكن التغير والتبدل في المناهج والطرق حسب ما تقتضيه أحوال الناس. لا يلزم التقييد بأي حالة خاصة ومنهاج خاص كالقسم الأول أي المقاصد ولا يذم استخدام الطرق التقليدية الحديثة والآلات الجديدة.

ولا يخفى على أحد أن الجهاد في زمن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم كان يحصل بالسهام والأقواس وفي هذا الزمن الراهن تدور المعارك بآلات الحرب الجديدة الحديثة الأخرى وهذا مما يلازم فهكذا أرشدت الشريعة إلى الآداب والحدود والقيود في التعليم والتبليغ والتزكية وأجازت استخدام الآلات الجديدة الحديثة والطرق التقليدية نظراً إلى الضرورة.

أما ندوة العلماء فبني منهجها على القديم الصالح والجديد النافع؛ هذا من ناحية أصول الشريعة وأدلتها توجد في الكتب الشرعية مفصلة، وقال المفكر الإسلامي والداعية فضيلة الشيخ الندوي إن دعوة الناس إلى الله وإلى دينه فرض فادأؤه كان منفرداً أو اجتماعياً خطابياً

أو كتابياً سرا أو علانيةً لم يتعين لهذه الدعوة شكل خاص ومنهج ممتاز.
فللدعاة إلى الله أن يسلكوا مسلكاً يفيد ويناسب للدعوة ويبذل المساعي والجهود التي
يجدونها مفيدة ونافعة.

لا حق لأي شخص يقول: هذا يجوز وذلك لا يجوز أو ينكر على ذلك ما دام هذا المنهاج لا
يضم عنصراً منكرًا أو جزءاً لا تجيزه الشريعة أو يضر المقاصد الدينية؛ كل من ذلك يتعلق
بالتجارب والاجتهادات فلا يصح الإصرار والإلحاح على هذه المناهج الخاصة والأشكال
المتعينة في كل مكان كالأحكام المنصوصة.

أحياناً نشعر أن فئة تحسب أن هذه الطرق وهذه الأساليب الوضعية تلزم دائماً لإحياء
الدين وخدمته في كل مكان وماسواه لا يصح وإذا لم تؤد الأعمال على خطط موضوعة فيظن
أن هذه المساعي التي بذلت ذهبت سدى وما وقع غير مفيد، هذا إفراط وتفريط وفوضى وهذا
الموقف مهلك وخطر بهذه المواقف السيئة حدثت في الأمة أديان وفرق وأصل الحقيقة
وما يؤكده من التجارب حتى توصلت ووجدت مفيداً ما دامت هذه الأشياء تفيد ولا تضر فلا
حرج أن تبقى وتعمل بها ولكن إذا كان المنهج المتعين رواجاً صار ديناً وحدثت بدعة ويجب
حينئذ على العلماء الربانيين والدعاة المخلصين أن يجتهدوا في إصلاحه وقمع قلعة التقاليد
ومحوها، يبدأ كثير من الأشياء بأحسن المقاصد والمصالح الدينية ثم تتحول إلى صورة
مكروهة في هذه المواقف التمييز بين الحقيقة والرواج وبين السنة وبين البدعة وبين الفرض
وبين المباح يعدّ تفقها في الدين . (تبليغ دين كـ لئـك ايـك اصول ملحقه خطبات على ميان
٤٤٢، ٤٤٤، ٤٤٤، ج: ٥)

مما أفاده هذه الأفكار التي أعرب عنها فضيلة الشيخ الندوي يؤيدها كتاب الله تعالى
وسنة رسوله.

تعالوا، نتحدث عن كلمات ألقيتها في اجتماع شارك فيه مئات آلاف من المسلمين فقال
فيها: ليس من وظيفة التبليغ إبلاغ كلمة بل الإتيان بالدعوة وإدخالها في القلوب هذا يتعلق من
الدعوة فلا يكفي إتماماً للحجة وتكميلاً لها، فنشر الدعوة وإشاعتها وطبعها وبالآلات الجديدة
ليس كل منهج للإبلاغ يعدّ دعوة، فالدعوة تمشي على مسلك كان الصحابة الكرام يسلكونه
فالدعوة المنفردة روح الدعوة وأصلها وسبب للنصرة الغيبية والهداية اليقينية ولن يكفي أي
طريق للإبلاغ إتماماً للحجة وإنما ظننا أن الطرق التقليدية كافية فقط وهي لا تكفيه لهدايتنا
ولا للآخرين إنما الدعوة عبارة ما كانت على منهج الصحابة الكرام فمثلاً إذا اتاحت فرصة
لأحد كتب مضمونا في صحيفة فإبلاغ الدين بالمناهج التقليدية يسبب رقي الرواج، لا يسبب
رقي الدين فالدعوة المعتبرة التي تجري على سنة النبي ﷺ وسنة الصحابة الكرام ومنهجهم،

تفقد من الأمة دعوة السنة أولاً ففهم أن الطرق التقليدية كافية، كلاً! وفي هذا الزمن إنما ينشر الدين كله بالآلات ويعد من الرقي والإزدهار، فالدعوة لا تتم بكتابة الرسائل بل بالجماعة فاتركوا التقليدية وذلك لإبتغاء مرضات الله تعالى وتوجهوا أنفسكم بالدعوة وانظروا إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد كتب إلى الحكام ولم يرسلها بالبريد بل أرسل إليهم فئة من الصحابة الكرام.

مهما تجتنبون الأشياء التقليدية يلهم الله تعالى الطرق الجديدة ومهما تأخذون بالتقاليد يبعدون من مهمة دعوة السنة: يلهم الله تعالى أمور الدعوة من يجتنب التقاليد في أمور الدعوة، أستشارني أخ صديق في شراء ماكينة فاكس فكتبت إليه من يجتنب الأشياء التقليدية الهمة الله تعالى أمور الدعوة وقال في صدد ذلك: إن أشد إضراراً هو الجوال لأن الناس يظنون أن إبلاغ المشورة والدعوة بالجوال هو كاف فبلغوا بأنفسكم.

وألقيت ضوء على قصة بداية الأذان ومشروعيته قائلاً: أشار الصحابة الكرام على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فقال: هذه تقاليد اليهود فألهم الله تعالى الأذان والهم الدعوة التامة بسبب اجتناب التقاليد والطرق التقليدية.

وقال: أكثر ما يضر هو الجوال لأن الناس يعتبرون أن الإشارة إرسال والدعوة إلى الله بالجوال كافيتان فعليكم أن توجهوا أنفسكم بالدعوة إلى الله تعالى. وقال مسؤول في مركز نظام الدين: إن الدعوة مقدمة على العبادة فانظروا أن الأذان الذي منه يفر الشيطان هو مقدم على الصلاة تؤدي ثم يوسوس الشيطان في المصلين فالدعوة مقدمة على العبادة.

سمعت ماقلت ثلاث مرات بكل قوة وضبطت قولك على الفور لا يخفى على أحد أن هذا الكلام ماذا يؤثر في نفوس مئات أفراد؟

ولا شك أن الإفراط في التذكير والتبليغ للترغيب والترهيب والتوعية والتربية تسع إلى حد ما يمكن التوجيه والتأويل لأقوال الشخصيات البارزة وهنا نَعول مثل هذه الكلمات كرها. ولكن ماذا يؤثر أسلوبك السلبي وآثار خطابك السلبي على مئات أفراد من الأمة المسلمة. هل التبليغ بالآلات الجديدة ووسائل الإعلام والتصنيف والتأليف والكتابة والخطابة ليست من أسباب التبليغ والدعوة؟ هل النشر والإشاعة ليس من الأسباب المتينة والمؤثرة للتبليغ؟ ما أوسع مفهوم "بلغ ما أنزل"؟ هل يمكن في هذا العصر بدون التصنيف والتأليف تبليغ جميع أمور الدين وما يتعلق به؟ هل لا يؤدي حق التبليغ في المواقع الكثيرة بالإبلاغ فقط استدلالاً بهذه الآية الكريمة "إن عليك إلا البلاغ" هل ليس من التبليغ ما كتب عمر بن عبدالعزيز من المكاتيب وما أرسل مجدد الألف الثاني إلى الحكام من الرسائل وما ألف فضيلة الشيخ الندوي

من الكتب الدعوية وأرسلها إلى الحكام العرب والعجم؟ وهل ليس من الدعوة والتبليغ ما كان يقدم فضيلة المفتي محمد شفيح برصيف محطة الإذاعة في باكستان من دروس القرآن الكريم؟ في العصر الراهن مئات آلاف من أهل العلم يقومون بالخدمات البارزة والمؤثرة نحو الدين والشريعة وذلك بالآلات الجديدة ووسائل الإعلام الحديثة التقليدية ويؤدون بها مسئولية تبليغ الدين الحنيف، فهل هذا كله يؤدي إلى رقي الأشياء التقليدية؟ وهل لا يرقى الدين والتبليغ؟ هل هذه الطرق بعيدة من السنة؟ وهل انتهت دعوة السنة؟

مما يدعو إلى التفكير أن المسلمين البالغ مئات آلاف هل لم يرسخ في نفوسهم أن ما يقوم به العلماء من التصنيف والتأليف والخدمات الدينية وذلك بالآلات الجديدة ووسائل الإعلام، هذا لا يتعلق شيء من ذلك بالتبليغ وإنما التبليغ الذي يؤديه بالإجماع بالناس مشافهة فبدأت تفتح أبواب البعد والإنقطاع من العلماء الدعاة المتقدمين وسوء الظن بهم وتسرى الثثرة والبذاءة- رويدا رويدا لأن عامة الناس يفهمون أن الدعوة تنحصر في ما نقوم به، أما الأعمال التي يؤديها العلماء الآخرون فتقليدية لا تنفع في قليل ولا كثير .

والعامة يفهمون أن ما قلت الهمه الله كأنه منزل من السماء بما تركت الأمور التقليدية كما ألهمت الدعوة التامة مثل الأذان بترك الأمور التقليدية، هكذا ألهم في هذا الزمن هذه الطرق فتسرب الى النفسية وترك الآلات الجديدة والوسائل الأخرى الحديثة رغم أن الله تعالى قد أعطى عباده الخيار في الأمور أي في طرق الدعوة فسلب هذا الخيار بما قلت ويلزم الطريقة الخاصة وإن قيل إن المدارس والفروع الدينية أنواع دينية ولازمة ولكن الأذهان وعت أن التبليغ هو الدين فقط.

وأما قولك ألهم الدعوة نحو الأذان ففيه نظر. هذا خطأ علمي دقيق، هل الأذان دعوة بدليل ماقدمه؟ الدعوة التامة لقب للأذان؟

نحن نختار في الدعوة أن نبدل ونحول ونزيد في الكميات والكيفيات كيف نشاء. هل يجوز القول "الصلاة خير من النوم" أربع مرات مكان مرتين إذا غلب على الناس النوم والحاجة تقتضى؟

هل يجوز تكرار "حى على الصلاة" مرة بعد مرة إذا غفل الناس عن الصلاة؟ والحقيقة أن الأذان ليس بدعوة بل أمر تعبدى وعبادة محضة لذا لا يتطرق إليه التغير والتبدل، لا تبديل فيه بالمشورة وقد شاور الصحابة لهذا الهدف المنشود مادام حكم الأذان غير مشروع وأمر تعبدى.

وأما قولك بتقديم الأذان إلى الصلوات الدعوة مقدمة على العبادة فليس بصحيح لأن الصلوات شرعتها الشريعة قبل الهجرة بسنة ونصف، ثم شرع الأذان في السنة الأولى من

الهجرة وتعلم الأذان مقدم على الأذان فينبغي له أن تقول إن التعلم مقدم على الدعوة. أي حاجة تجعلك تبين هذه النكات والأسرار التي لا يؤيدها الكتاب والسنة ومن ثم يجرى البحث عن ذلك بدون جدوى.

أما اجتناب الطرق والأشياء التقليدية والآلات الجديدة لازم وواجب استدلالاً بأن هذه الأشياء لم تكن موجودة في عهد الصحابة لم يوجد الفاكس والجوال، فالطرق العرفية والأشياء التقليدية تضم آلة مكبر الصوت أيضاً، فينبغي أن تكون ممنوعة الاستعمال في الحفلات والاجتماعات الكبيرة بإعتبار التوجيهات والهدايا التي أتيت بها، لأن آلة مكبر الصوت لم يشهده عهد الصحابة، فاستعمال آلة مكبر الصوت التي تسبب البعد عن السنة والدعوة ولا ترقى الدين بل ترقى الأمور والأشياء التقليدية واجب تركها في الاجتماعات. فأذهان مئات آلاف شخص بعد الاستماع إلى مثل هذه الخطب ماذا وعت وماذا اسفرت عن النتائج؟

[٢] هل سماع القرآن وتلاوته بالجوال سبب لإهانة القرآن؟ والتصوير به حرام قطعاً؟

قلت: في اجتماع لهربور بعد صلاة المغرب: إن التصوير بالجوال حرام، لا يختلف في حرمة احد، لا يتبدل الحكم بتبديل الاشكال أنا اكرهه كثيراً. لاسمح الله تعالى. يمكن أن يجرى على لساني الدعاء على أحد يستعمل الجوال هذا كله من وساوس الشياطين التي تحلل ما حرمه الله تعالى، لن يتبدل الحكم بتبديل الاشكال، يجب مسح الصور من الجوال وإلا خسر لو كان الجوال متضمناً ولا تدخل ملائكة الرحمة لو كانت الصور في الجوال.

وكذلك يستوجب سماع القرآن الكريم وتلاوته بالجوال إهانة القرآن. واستدلالاً بأن الوحي كان ثقيلاً "لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت حاشعاً متصدعاً من خشية الله" كيف يطيب القرائح بسماع القرآن من الجوال.

لاشك أن كثيراً من الناس تأثروا تأثراً بليغاً بهذا البيان. ولكن هل هذا أمر واقعي وحكم شرعي مما بيّنته في تجمع كثير من الناس الذين فهموا هذا الخطاب كمسئلة شرعية.

هل النظر إلى القرآن الكريم وسماعه وتلاوته في الجوال أو في الآلات الجديدة يستوجب إهانة القرآن كما زعمت؟ هل التصوير بالجوال محرم قطعاً؟ هل لا يوجد فيها إختلاف العلماء؟ نعم! يسع المقال في علماء مصر والعرب والعجم الموثوق بهم أن يتفقوا على عدم الجواز في التصوير بالكيما والصور الورقية.

وأما الصور التي تظهر في الهاتف الجوال أو في التلفاز أو الحاسب الآلي أو الجهاز

الإلكتروني فلا تأخذ حكم الصور المحرمة التي تحتفظ وتثبت لأنها لا تثبت على الورق ولا يكون لها شهد بل الجهاز الإلكتروني يصوّر بفضل على الفور ما كان من الصور لا يوجد فيه صورة - وإلى هذا ذهب بعض العلماء وهم يجيزون مثل هذه الصور ولكن لاتجيزها جماعة من العرب والعجم-

فاختلف فيها أهل الحق فكيف يصح أن يقال إنها محرمة قطعاً ولايختلف فيها احد، هذا ليس من قبل نزاع لفظي بل فئة من المسلمين أخذوا يحرمون الجوّال بعد ما سمعوا وتأثروا بما قلت: فاذا شاهدوا عالماً متديناً من العلماء يستخدم الجوّال تطرق إليها سوء الظن به وإذا تلا أحد القرآن في الجوّال اعتقدوا أن هذا التالي يعمل عملاً يستوجب إهانة القرآن الكريم فقام الناس يستلون العلماء الأسئلة بالاتصال هاتفياً هل تستلزم تلاوة القرآن وسماعه في الجوال إهانة القرآن الكريم؟

بأى سبب تستلزم إهانة القرآن الكريم وتحريمه، ماوجه ذلك؟ هل الوجه أنه من الآلات الجديدة؟ أو الوجه أن أكثر استعمالها في الفحشاء والمنكرات، فنظراً إلى ذلك ينبغي آلة مكبر الصوت أن تكون ممنوعة الاستعمال فينبغي أن يكون سماع القرآن منها يستوجب الإهانة. إنى وجدت بعض كبار العلماء كفضيلة الشيخ الندوي كان يستمع بشريطة التسجيل إلى القرآن الكريم بعد صلاة العصر في رمضان المبارك بكل رعاية واهتمام فلا يستلزم إهانة القرآن؟ وأما استدلالك بالآية "لوانزلنا هذا القرآن الخ....." فلا يخفى على العلماء أن هذه الآية لا تتعلق أدنى تعلق بهذا الحكم فلا أدري أن هذا الحكم اجتهادي واستنباطي أو طبعي. لماذا تقدم الأمور الطبيعية كالمسائل الشرعية؟ ولماذا تقيد الأمة بها حتى تطيب كريهتك الدعاء على أحد؟

[٣] قد نسي الناس الشرط الرابع لقبول التوبة

قلت في خطابه : إن التنقل والتحرك لتكميل التوبة والتزكية لازم، وإن الناس يعلمون ثلاثة شروط لقبول التوبة ولا يعرفون الشرط الرابع بل نسوه والشرط الرابع هو "الخروج" واستدل بقصة بنى إسرائيل وقال إن رجلاً قتل تسعة وتسعين شخصاً الخ.. فلقي أولاً راهباً يزهد عن الدنيا ويشغل في العبادة ثم لقي عالماً فقال له اخرج فخرج القاتل فقبل الله تعالى توبته فثبت بهذه القصة أن الخروج يلزم لقبول التوبة-

وبيّنت هذه القصة بكل تفصيل وبسط واجتهدت في إثبات أن القاتل ذهب إلى الراهب ولكن لم تقبل توبته ثم إذا خرج إلى قرية أخرى ثم قبلت توبته فثبت أن لقبول التوبة الخروج في سبيل الله واجب لقبول التوبة. ولا تقبل التوبة بدونه فهذا شرط قد نسيه الناس، لذا

يذكرون الشروط الثلاثة ويتركون الشرط الرابع وهو الخروج- هنا سؤال عن الشرط الرابع الذى نسيه العلماء السلف والخلف والفقهاء والمحدثون وبينت يا فضيلة الشيخ سعد! فهل هذا الشرط ثابت من آية من آى الكتاب أو مقتبس من الأحاديث؟ مع أن الكتاب والسنة ينكرانه .

(١) فقد روى الترمذى وابن ماجه حديث علي عن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم ما من رجل يذنب ذنباً ثم يقوم فيتطهر ثم يصلى ثم يستغفر الله إلا غفر الله له ثم تلا والذين إذا فعلوا فاحشة الخ... (مرقاة: ٣٦٨/٣ باب التطوع)

(٢) والقرآن يؤيد هذا الحديث كما قال الله تعالى "ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً." (سورة النساء: ٥) فالآية والحديث لم تدلا على الخروج لقبول التوبة لا صراحة ولا إشارة ولا كناية.

(٣) وروى العلامة ابن قدامة رحمه الله المتوفى ٦٢٠ هـ فى كتابه "كتاب التوابين": ٦٢، أنظروا إلى هذه القصة تاب الله تعالى توبة شخص ولكنه لم يخرج من المجلس ولم ينهض بل ادخل راسه فى ثيابه وتاب إلى الله تعالى.

توبة العبد العاصى : وروى انه لحق بنى إسرائيل قحط على عهد موسى فاجتمع الناس إليه فقال يا كلیم الله ! ادع لنا ربك ان يسقينا الغيث فقام معهم وخرجوا إلى الصحراء وهم سبعون ألفاً أو يزيدون فقال موسى عليه السلام ، إلهى اسقينا غيثك وانشر علينا رحمتك وارحمنا بالأطفال الرضع والبهائم الرتع والمشائخ الركع فما زادت السماء إلا تقشعا والشمس حرارة فقال موسى إن كان قد خلق جاهي عندك فبجاه النبى الأمي محمد صلى الله عليه وسلم الذى تبعته فى آخر الزمان فأوحى الله إليه ما خلق جاهك عندي وإنك عندي وجيه ولكن فيكم عبد يبارزنى منذ أربعين سنة بالمعاصى ، فنادى فى الناس حتى يخرج من بين أظهركم فبه منعتكم فقال : إلهى وسيدي انا عبد ضعيف وصوتى ضعيف فأين يبلغ وهم سبعون ألفاً أو يزيدون فأوحى الله إليه منك النداء ومنى البلاغ فقام مناديا وقال يا ايها العبد العاصى الذى يبارز الله منذ أربعين سنة اخرج من بين أظهرنا فبك منعنا المطر ، فقام العبد العاصى فنظر ذات اليمين وذات الشمال فلم ير أحد خرج فعلم أنه المطلوب فقال فى نفسه إن انا خرجت من بينى هذا الخلق فافتحضت على رؤوس بنى إسرائيل وإن قعدت معهم منعوا لأجلى فأدخل رأسه فى ثيابه نادما على افعاله وقال إلهى وسيدي عصيتك أربعين سنة وأمهلتنى وقد أتيتك طائعا فاقبلنى فلم يستتم الكلام حتى ارتفعت سحابة بيضاء فأمرت كأفواه القرب فقال موسى إلهى وسيدي بما سقيتنا وما خرج من بين أظهرنا أحد فقال يا موسى سقيتكم بالذى به منعتكم ، فقال موسى إلهى أرنى هذا العبد الطائع فقال موسى إنى لم أفضحه وهو يعصينى ، أ أفضحه وهو يطيعنى يا موسى ؟ إنى أبغض النمامين أفأكون ناما.

فالصحيح أن لقبول التوبة إضافة الشرط الرابع الخروج ليس بسديد بل غلط وباطل.
(٤) نقل الملا على القاري في شرح المشكاة من الإمام الغزالي أفضل طرق التوبة
وأحسنها إذا أراد الرجل التوبة يغتسل ويلبس أحسن ثيابه ويصلى صلاة التوبة في مكان
خال لا يراه إلا الله تعالى.

فقال الإمام في المنهاج إذا اردت التوبة واغسل ثيابك وصل ما كتب الله لك ثم ضع وجهك
الارض في مكان خال لا يراك إلا الله سبحانه وتعالى الخ..
(مرقاة: ٣/٣٦٩ باب التطوع)

أنظروا إلى الإمام الغزالي والملا علي القاري قالوا: إن أفضل طرق التوبة تب بصادق
القلب في مكان خال توبة صادقة لا يراك إلا الله إذا ثبت في ناحية في داخل الحجرة تاب الله
إليك لم يقدر أحد من الفقهاء والمحدثين والمفسرين شرط الخروج لقبول التوبة.

(٥) وقال فضيلة المفتي محمد شفيع في تفسيره معارف القرآن ولا بد لقبول التوبة من
ثلاثة أمور: الندامة على المعاصي الماضية، ترك المعاصي التي يقع فيها في ذلك الوقت، والعزم
على اجتناب المعاصي في المستقبل.

أما المعاصي التي تتعلق بحقوق العباد فلا بد له من طلب العفو ممن له حق أو أداء الحقوق
إلى صاحبها هذا أيضا شرط للتوبة.

وبيّن فضيلة المفتي محمد شفيع في التوبة شرائط لقبول التوبة ما بينها وكتبها جميع
شراح الحديث والمفسرين منذ قرون فقال الملا على القاري في شرح المشكاة: والتوبة في
الشرع ترك الذنب لقبحه، والندم على فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكن
أن يتدارك من الأعمال بالإعادة. وزاد النووي وقال: ان كان الذنب متعلقا ببني آدم فلها شرط
آخر وهو رد المظلمة إلى صاحبها أو تحصيل البراءة منه. (مرقاة شرح مشكاة: ٥/٢٣١، باب
الاستغفار)

فحقيقة التوبة وشرائطها لدى شراح الحديث هي ما قال فضيلة المفتي محمد شفيع ظل
العلماء الكبار يكتبونها من عهد النبي ﷺ إلى يومنا هذا. فقولُه: إن الشرائط الثلاثة لقبول
التوبة بينها العلماء المتقدمون والمتأخرون ولا يعلمون الشرط الرابع بل نسوه، هذا من الجرأة
فهذا الدعوى يسبب عدم الثقة واختلاق الإتهامات ضد المفسرين والمحدثين وجميع العلماء
الكبار وما أشد تهمة وما أقل ثقة.

وإننا لا نسلّم أن ما استنبطت واجتهدت ليس جديرا بالقبول أعنى ازدياد الشرط الرابع
وهو الخروج واستدلت بقصة شخص من بني إسرائيل قتل تسعة وتسعين شخصا ثم إذا رحل
من قرية إلى قرية أخرى تاب الله تعالى توبته.

وما أشدّ اعتماداً على فهمك مع تنقيص شراح الحديث والمحققين ولو سلمنا ما استدلت بهذه القصة فجاء نص الحديث في صحيح مسلم انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك. (مرقاة : ٢٣٩/٥) أى اسكن مع العابدين بعد الخروج واعبد الله تعالى فلم يثبت الخروج أصلاً وإنما ثبت قضاء الأوقات فى الزوايا مع العابدين والزاهدين ولو سلمنا أن هذا شرط فالشرط يتعلق بصحبة العابدين لا نفس الخروج كما زعمت.

وهذه حقيقة واضحة أنه لا تدل آية من آي الكتب ولا من أي حديث على شرط قبول التوبة الخروج فى سبيل الله، فهذا الشرط باطل ومخالف للكتاب والسنة يجيئ العقاب والعذاب تضيق رحمة الله العباد وتستلزم العقاب والعذاب والمعصية.

وفى أبى داؤد رواية رواها ابو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ إن رجلين فى بنى إسرائيل احدهما عاص وثانيهما مجتهد فى العبادة وناصح، وكان ينصح اخاه العاصى مرة بعد مرة وقال ذات يوم: "والله لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الله الجنة فماتا وجمع الله روحهما وقال للعابد: أكنت بى عالما ما فى يدي قادراً؟ ثم أمر بإدخال العاصي فى الجنة وبإدخال العابد فى جهنم أعاذنا الله منه، ثم قال ابو هريرة بعد نقل الحديث والذى نفسى بيده "تكلم بكلمة أو بقت دنياه وأخرته. (ابوداؤد كتاب الأدب : باب النهى عن البغى، بذل المجهود : ٢٥٩/٥)

وفى الواقع هذا مما يلفت الأنظار إلى التدبر والحذر بأن تشترط لقبول التوبة الخروج فى سبيل الله فالمعنى لولم تخرجوا فى سبيل الله لا يغفر لكم الله تعالى ولا يقبل توبتكم كما قال العابد من بنى إسرائيل لأخيه العاصي: "والله لا يغفر الله لك" هكذا قلت بدون الخروج فى سبيل الله لا يقبل التوبة وإنما الفرق بينهما أن فى قصة بنى إسرائيل شخصاً عابداً مجتهداً قال لشخص واحد والله لا يغفر الله وهنا قلت فى مآت آلاف من المسلمين: لا يقبل الله التوبة بدون الخروج فى سبيل الله. وما أكره الله تعالى بمثل هذا الاشتراط بدون دليل شرعى. وفقنا الله تعالى للتوبة الخالصة الصادقة.

ارتكب يا فضيلة الشيخ سعدا! الخطأ الخطير باشتراط الشرط الرابع لقبول التوبة وضغث على إبالة أنك قلت: إن جميع الأسلاف وكبار العلماء قد نسوا الشرط الرابع ما أكبر بهتاناً وما أعظم إسائة إلى العلماء الكرام وما أكبر دعوى لمواهبك العلمية بينما دعواك لا يؤيده الكتاب والسنة وتصريحات المحدثين.

ونحن نقول: إنه قد ارتكبت فى هذا الصدد خطأ يجب عليك أن تتوب إلى الله تعالى وتستغفر ثم تبين وتعرف فى مئات آلاف من المسلمين وتعلن عن الرجوع كما ارتكبت فى الإجتماع الكبير، مثلاً أن الشيخ التهانوى قال فى تجمع كبير ناصحاً إنى قد أخطأت مسألة

فلانية ثم أوضحها وشرحها يجب هكذا عليك أن تفعل مثله ويجتنب نحو هذه المضامين الخاطئة لوجه الله تعالى.

[٤] هل الاجتماع الطبقي عمل يذبح الأمة؟

قلت في إجتماع لهربور في خطابك :

لايتصور لدينا الاجتماع الطبقي أوالجماعات الطبقية، لاتتحد بين الأمة بل تذبحها وأنا أعتبر أن مثل هذه الاجتماعات مهمة ولغو لافائدة لها فالاجتماعات مع جماعة خاصة أوالدكتورين أوالمهندسين أوالطبقات أوالجماعات لترتيب المساجد هذه الطريقة تذبح الأمة ولايتصور لدينا أن الاجتماع مع الخواص وزاد في قرائننا اهمية الدعوة إلى الخواص ويضر جمع أعضاء الأمة وجمعهم يؤدي بالأعمال إلى الضعف والإنحطاط والتخلف ونشرهم يؤدي بالأعمال إلى الرقي والتقدم لو رفعت عباداتكم إلى العرش وأعمالكم ولو كانت مقبولة ومطلوبة ولكن والله لاينصر الله تعالى ما دامت الأمة موحدة كلمتها وينتهي الفرق بين الأسود والأبيض. ولا يتصور لدينا الاجتماع للطبقات المختلفة بل يدعو إلى العتاب والتنبيه. وقال للنبي ﷺ رؤساء المشركين إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلسا ولكن بشرط إذا جمعنا الخواص فلا يأتيك صهيب وبلال من الصحابة قال نعم قالوا فاكتب لنا كتابا قال فدعا بصحيفة ودعا عليا ليكتب وبدأ المجلس مع رؤساء مكة إذا وصل عبد الله بن أم مكتوم فنزلت "عبس وتولى" ثم دعا عليا وامره بتمزيق الصحيفة فهذه سبب للعتاب والتنبيه.

ثم قلت استدلالا بهذه الواقعة إن رؤساء المشركين شاؤا أن يجالسوا مع النبي ﷺ ثم سمع مايقول ولكن بشرط إذا جلسنا أشرف القوم فلا يحضر الصحابة صهيب وبلال فعزم وأمر بكتابة صحيفة وختم عليها وشرع المجلس فجاء عبد الله بن أم مكتوم فنزلت : عبس وتولى الخ فدعا عليا وأمر بتمزيق الصحيفة.

فهذه المجالس سبب للعتاب والحذر. وجمع رسول الله ﷺ صحابيا غنيا مع صحابي لايملك شيئا ولايجد في قدميه النعل ويحتقر به ولكن معاوية بن صعلوك قد تحمّل الخ. هذا كله اجتهدت فيه وقدمته على ذلك حولت جميع الأعمال إلى هذا الموقف فأنهى الاجتماعات الطبقية كليا بينما كان الاجتماعات الطبقية تعقد مع الدكتورين والمهندسين والموظفين للقطار على قدر منازلهم وأفكارهم واستعداداتهم الذهنية ولكنك الغيت ذلك ولايدري لم يُبقي الاجتماع بين العلماء حتى الآن؟ لأنه لايتصور لديك الاجتماع مع الخواص في الإسلام ولايسع لديه.

وأخذت خطوة كبيرة أساسها مجرد اجتهادك وعقلك وفهمك. لو بدّلت وأدخلت التغيير

فى جماعة الدعوة والتبليغ نظرا إلى ما وضع من الأصول و ضرورة المشورة والاجتماعية بعد ما شاورت مع الشخصيات البارزة أمثال فضيلة الشيخ محمد رابع الحسنى الندوى وفضيلة الشيخ محمد إبراهيم المؤقر.

أنا أقول بعلم اليقين: إن هذه الخطوة التى اتخذتها أثارت قلقا وحرجا لأصحاب الجدد والقدامى والصغار والكبار ووجه إلى ذلك الانتفادات والاعتراضات وكل من ذلك سبب للفتنة. وأنا اعتقد أن هذا الموقف الذى اخترته بالاجتهاد يخالف روح الكتاب والسنة وتود تسليط هذه الأصول على الأمة.

والمعلوم أن الشريعة لم تقيد فى صدد الدعوة والتبليغ بطريقة خاصة دون طريقة والتبليغ والجهاد ومن الأحكام الشريعة لم تعين لذلك جهة وصورة بل خيرتنا حسب ما تقتضيه الظروف والأحوال ويمكن التبدل والتغير والتخلف مما أفاده العلماء الكرام.

فقولك إن هذه غير شرعية وتغليط الجماعات الطبقية فى ضوء القرآن والحديث بل تسبب العقاب والعتاب ورسول الله ﷺ قد اتى عليه العتاب واستدللك بسورة "عبس وتولى" وذلك اعتمادا على التفاسير غير المعتمدة، وإخراج النتائج ماتشاء والثقة الكاملة به والاعتماد على ماقلت وتسلط تطبيقه على هذه الأمة، هذا الموقف إلى أى حد صحيح؟

رغم أنى طالعت الكتب التفسيرية المتعددة ما وجدت فى تفسير واحد ما بين من تفسير عبس وتولى وإنما وجدت التصريحات والتفسير خلاف ما فسرتة . كيف ربط قصة عبدالله بن أم مكتوم بهذه القصة التى تتعلق عبس وتولى مع هذه القصة علاحدة وقصة عبدالله بن أم مكتوم منفردة.

أما سبب نزول "ولا تطرد الذين الخ...." من سورة الأنعام علاحدة فإتيان قصة عبدالله بن أم مكتوم الخاصة بهذا المقام لا يصح ولم أجد فى كتب التفسير المعتمدة ما يؤيد ما قال مولانا سعد من قبول رسول الله ﷺ قول رؤساء المشركين، ثم إملاؤه على الصحيفة والختم عليها وبداية الجماعات الطبقية ثم إنزال الله العتاب ثم طلب رسول الله ﷺ عليا ومزق الصحيفة وإنما وجدت تصريحات المفسرين التى خلاف ذلك كما يلي.

وسبب نزول عبس وتولى بينه ابن كثير أن عبدالله بن أم مكتوم اتى النبى ﷺ وهو يناجى عتبة بن ربيعة، وأبا جهل بن هشام وعباس بن عبدالمطلب وأبى وأمىة بن خلف ويدعوهم إلى الله تعالى طمعا فى إسلامهم فقام ابن أم مكتوم وقال يارسول الله علمنى مما علمك الله وجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدرى أنه مشغول مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهية فى وجه رسول الله ﷺ لقطعه كلامه وأراد أن يرجع فيما بعد حتى أفرغ عن الدعوة وقال فى نفسه يقول هؤلاء الصناديد إنما اتباعه العميان والسفلة والعبيد فعبس رسول الله

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم فانزل الله تعالى هذه الآيات فكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ذلك يكرمه وإذا رآه يقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي .

فروى ابن كثير عن ابن عباس^{رضي} قال يناجي عتبة بن ربيعة وابا جهل بن هشام والعباس بن عبدالمطلب وكان يتصدى لهم كثير ويحرص أن يؤمنوا فأقبل إليه رجل أعمى يقال له عبدالله بن أم مكتوم يمشى وهو يناجيه فجعل عبدالله يستقرئ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آية من القرآن وقال يا رسول الله علّمني ماعلّمك فأعرض عنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم انزل الله تعالى عبس وتولى قال ابن كثير ودّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن لو كفت ساعته ليتمكن من مخاطبة ذلك طمعا ورغبة في هدايته .

وسبب نزول "ولا تطرد الذين الخ" على حدة وروى ابن كثير قصة هذه الآية الكريمة عن ابن مسعود قال مرّ الملاء من قريش برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعنده صهيب وبلال وعمار وخباب وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك؟ أهؤلاء الذين منّ الله عليهم من بيننا؟ نحن نصير تبعاً لهؤلاء؟ اطردهم فلعلك إن طردتهم أن نتبعك فنزلت هذه الآية ولا تطرد الذين الخ----

ثبت بتفصيل ما بينه ابن كثير أن الواقعتين يختلف البعض من البعض أما في قصة سورة عبس وتولى فرؤساء مكة كانوا حاضرين عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يناجيهم ويدعوهم إلى الإيمان ثم جاء عبدالله، أما قصة ولا تطرد الذين الخ... فالصحاباة الكرام كانوا حاضرين لدى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وودّ الرؤساء مكة أن يطردهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مجلسه .

وأما قوله إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد شرح في الاجتماع مع الرؤساء نظرا إلى رغبتهم ثم كتب الصحيفة ثم ختم عليها فبدأ الاجتماع الطبقي إذ جاء عبدالله بن مكتوم فهذا التفصيل ليس وفق ما بينه ابن كثير.

فأولا هذه القصة على حدة ولم يثبت فيها مجيء عبدالله بن أم مكتوم قصة مجيئه قصة أخرى فعبس النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكنك خلطت وربطت قصة عبس بهذه الواقعة ثم استدلت بهذه الواقعة على تنديد الاجتماعات الطبقية .

فالقول إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان اتخذ خطوة بالفعل لإبعاد الصحابة الكرام من مجلسه وفق رغبة الرؤساء المشركين أي قد طرد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه بصورة عملية وأقام للرؤساء نظاما آخر وكتب هذه الأقوال على الصحيفة لايؤكد لها تفاصيل نقلها المفسرون وما ثبت برواية مسلم وتفسير القرطبي أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد همّ طمعا في إيمان الرؤساء المشركين ومال إلى ذلك ميلا قليلا ولكنه لم يعمل بما أراد ولم تقع هذه القصة لايدرى كيف أنت ادّعت وعلى أي دليل قلت؟ إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد طرد أصحابه الضعفاء وبدأ في الاجتماعات الطبقية إذا بدأ الاجتماع أنزل الله العتاب ثم دعا عليا على الفور وأحضر الصحيفة ثم مزقها وهذا ليس بصحيح وليس

بثابت كما صرحه العلامة القرطبي وهذا بهتان على النبي ﷺ لأنه لم يفعل شيئاً في تفسير القرطبي إنما مال إلى ذلك طمعا في إسلامهم واسلام قومهم فمال إليه فأنزل الله الآية فنهاه عما هم من الطرد وروى مسلم فوق في نفس رسول الله ﷺ ماشاء الله أن يقع تحدث نفسه فأنزل الله عزوجل ولا تطرد الذين الخ.... (قرطبي : ٢٧٨/٦ سورة الانعام)

فالعلامة القرطبي قد أنكر وقوع مثل هذه الواقعة لكل وضوح يعنى أن النبي ﷺ لم يطرد أصحابه الضعفاء من مجلسه بما قال المشركون ولكن همت نفسه فنزلت هذه الآية الكريمة فانتهى ولم يفعل.

فثبت أن ما قلت من دعوة النبي علياً وكتابته صحيفة وختمه عليها غلط ليس بثابت بالنقل.

هنا رواية لم يقبلها ابن كثير ذكر فيها أن النبي ﷺ قد دعا علياً وأمر بإحضار الصحيفة فنزل الوحي فانتهى عما هم ولكن لم تقع كتابة الصحيفة فكيف يصح أن النبي ﷺ قد عين وأملى ثم مزقها بعد إحضارها ثم جاء العتاب.

ولا تقبل رواية ثبت أن النبي ﷺ قد دعا علياً وأمر بإحضار الصحيفة والعلامة ابن كثير قد انتقد بعد نقلها وخلاصة ما قال إن هذه الرواية ليست بصحيحة لأن هذه الآية مكية والرواية التي قد نقلت قصة تتعلق بأقرع بن حابس وعيينة بن حصن وهما قد قبلوا الإسلام بعد فترة من الهجرة، فلا تصح هذه الرواية فالاستدلال بهذه الرواية فاسد.

هنا ما نص الحديث الذي نقله العلامة ابن كثير: جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري إلى أن قال فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال نعم قالوا فاكتب لنا علينا كتابا قال فدعا بصحيفة ودعا عليا ليكتب ونحن قعود في ناحية فنزل جبرئيل فقال ولا تطرد الذين يدعون ربهم فرمى رسول الله ﷺ بالصحيفة من يد قال ابن كثير وهذا حديث غريب فإن هذه الآية مكية والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر. (ابن كثير: ١٣٥/٢ سورة الانعام)

وقد بان بالتفصيلات المذكورة أن الاجتماعات الطبقية لاتتعلق بهذه الآية ولا بهذه الواقعة بل غير مربوطة ولا يصح إستدلالك الشيخ سعد بهذه الآية الكريمة على إثبات مدعاك وقولك جاء العتاب على رسول الله ﷺ إذا رضي بالاجتماعات الطبقية هذا بهتان وافتراء لم يفعل شيئاً من ذلك والرواية التي تذكر هذه القصة لم يقبلها ابن كثير كما تقدم ثم اعتمدت بتقوية المدعى الزائدة على واقعة وائل ابن حجر ومعاوية بن صعلوك وقلت : إن وائل بن حجر كان ينظر إلى معاوية بن صعلوك بعين الحقارة هذا قبيح غاية القبح ولا ينبغي ان ترتكب فتح باب الإساءة إلى الصحابة وقداستهم.

ومما يوسفنا لو ألقيت مثل هذه المضامين فى الاجتماعات الكبيرة لنقلها الناس بأفواههم - لاسمع الله - ثم أبان العلماء المحققون فى سبب نزول عيسى وتولى وقصة عبد الله بن أم مكتوم أن النبي ﷺ كان يتفكر وينظر إل أمر يتعلق بالاجتهاد ظنا أن هؤلاء الرؤساء أبلغهم أصول الدين وهذا الصحابى تودّ تعلم فروع الدين وتبليغ أصول الدين مقدم على تبليغ الفروع ثم ظن أن عبد الله بن أم مكتوم هو من أصحابه والكفار لا يمكن الاجتماع بهم فى وقت فيصعب اللقاء معهم فاجتهد رسول الله فلهذا رجع الكفار ثم أخبر الله نبيه أن هذا الاجتهاد ليس بصواب بل الطالب مقدم ومحترم ومكرم ويستحق التوجه الكامل على غير طالب فجاه عبد الله ابن أم مكتوم طالبا فلهذا أخبر الله تعالى نبيه أن هذا طالب للدين وأحكامه.

ثم استفاده الصحابى عبد الله ابن أم مكتوم كان أمرا محققا وانتفاع الكفار كان أساسه على الظن والوهم فقال الله تعالى إن النفع المتيقن يفضل ويرجح بالنسبة إلى النفع الوهمي كما صرح به الشيخ التهانوي.

فخلاصة القول إن الله تعالى قد نبّه رسوله على الخطاء الاجتهادى لاتتعلق هذه الآية الكريمة أدنى تعلق بالاجتماعات التطبيقية لأدرى على أى أساس وعلى أى دليل اجتهدت الأمر العجيب أنك لم تذهب إلى ما قال العلماء المحققون ولا تحتاج إلى مطالعته، لوطالعت هذه الكتب لم تخطئ ولم تجترئ ان تجتهد فى أمثال ذلك.

[5] والاجتماعات التطبيقية فى الموقف الإسلامى وفى مرآة السيرة النبوية .

نظرا إلى الموقف الإسلامى وأصول الشريعة يمكن القيام بمسؤولية الدعوة والتبليغ بأى طريق وبأى أسلوب وبأى منهج كما تقتضيه الظروف والأحوال والضرورات لأن ذلك من الأحكام الشرعية التى لم تجعلنا متقيدين بمنهج خاص فيجوز القيام بهذه المسؤولية منفردا واجتماعا ودونهما.

تضم سيرة النبي الكريم ﷺ وأصحابه الكرام الواقعات الكثيرة التى تدل على أنّ رسول الله ﷺ جمع الناس من حيث الطبقات نظرا إلى الضرورات والظروف كما روى الإمام مسلم واقعة شاب من الأنصار مشهورة نقلها المفكر الإسلامى العلامة الندوي فى كتاب المختارات.

(١) ذات مرة تشكك بعض الشباب من الأنصار أن رسول الله ﷺ فضل أسرته بالنسبة إيلنا فى تقسيم الغنائم أى أعطاهم أموالا كثيرة فجمع رسول الله بكل إهتمام حينئذ معشر الأنصار فقط واهتم الا يشارك احد لأحوال تقتضى هذا، نص الحديث أن أناسا من الأنصار قالوا يوم حنين حين آفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما آفاء فطلق رسول الله ﷺ يعطى رجالا من قريش المارية من الإبل فقالوا يغفر الله رسول الله ﷺ يعطى قريشا

ويتركنا. وسيوفنا تقطر من دمائهم قال أنس بن مالك فحدث ذلك رسول الله ﷺ من قولهم فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من آدم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله ﷺ فقال ما حديث بلغنى فلم يقولوا شيئاً وأما أناس الخ... وفي هذه القصة جمع رسول الله ﷺ الأنصار فقال أفيكم أحد من غيركم. (مسلم شريف: ٣٣٨/١، كتاب الزكاة)

(٢) كما خاطب رسول الله ﷺ ثلثة من التجار وأرشد إلى توجيهات خاصة تفيدهم وتليق بحالهم فقال: يا معشر التجار! إن الشيطان والإثم يحضران البيع فشوبوا بيعكم بالصدقة وفي رواية أخرى يا معشر التجار فاستجابوا لرسول الله ﷺ ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه فقال إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى الله وبرّ وصدق. (ترمذى شريف، كتاب البيوع: ٤)

(٣) رواية ابي موسى الأشعري التي رواها الإمام مسلم في كتاب الزكاة أنه جمع مرة القراء فقط وقال كلمات هذا كان اجتماعاً خاصاً وطبقياً بعث ابو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاث مائة رجل. (مسلم شريف: ٣٣٨/١)

(٤) وذكرت قصة عمر الفاروق في باب الطاعون رواها البخارى ومسلم ومؤطا مالك أنه كان يتوجه في مهمة دينية فعلم أن فيها الطاعون قد ذاع فشاور مع الصحابة جماعات منفردة فجمع أولاً الصحابة المهاجرين وشاور معهم ثم جمع مشيخة قريش في الاخير ثم حكم: فقال عمر ادع لى المهاجرين الأولين فدعوتهم فتشاورهم ثم قال ادع لى الأنصار فدعوتهم له فتشاورهم ثم قال ادع لى من كان ههنا مشيخة قريش الخ... (مسلم: ٢٢٩/٢، باب الطاعات)

(٥) وثبت الاجتماعات التطبيقية بما صرح المحدثون إدامست الحاجة إلى ذلك فبوّب المحدثون لهذه الغاية باباً أى فى تنزيل الناس منازلهم. أى عاملوا الناس معاملة على قدر مراتبهم واستعدادهم وذكر حديثاً قال رسول الله ﷺ: انزلوا الناس منازلهم. (بذل المجهود: ٢٤٧/٥)

فهذا حديث يضم حكم نزول الناس منازلهم ومعاملتهم على قدرهم فهذا يحتوى على المحادثة، والكلام والخطاب والمعاملة ونحو ذلك.

(٦) ونقل الامام مسلم في مقدمة كتابه بسند صحيح هذا المعنى تقتضى به الحاجة إلى الاجتماعات التطبيقية لولم يراع الناس أخبرت فتنة لهم قال عبدالله بن مسعود ما أنت بمحدث قوما حديث لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة وقال العلامة شبير أحمد العثماني فى شرحه. (مسلم: ٥)

وفيه دليل على أن المتشابهات لا ينبغي أن تذكر عند العامة. (فتح الملهم: ٣٣٩/١)

معناه لا يذكر المضامين الدقيقة والغامضة من المتشابهات التي لا تبلغ عقول عامة

الناس .

فلا تبينوا حديثا ومضمونا دينيا أمام جماعة أو قوم لا تكاد عقولهم تفهم وتدرك وإلا كان فتنة يستلزم تكذيب الله ورسوله هذا يدل أيضا على الحاجة إلى التقسيم حسب الطبقات .
وبوّب الإمام البخارى فى كتاب العلم بابا لبيان يقسم الناس والقوم من حيث فهمهم وصلاحياتهم فقال : باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا ثم أتى بحديث نقله على: حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله وقال العلامة العيني المراد وعلى قدر عقولهم . (عمدة القارى: ٢٠٥/٢، فتح البارى: ٢٥٨/١)

فخلاصة ذلك أن تحدثوا الناس على قدر عقولهم وفهمهم واستعدادهم وهذه حقيقة واضحة أن الناس لهم منازل وطبقات وأحوال مختلفة فالتقسيم الطبقي لازم لدى الحاجة إلى ذلك .

(٨) مسلك ندوة العلماء نحو الدعوة والتبليغ إنما يبني أيضا على هذه الأصول التي تستلزم التقسيم الطبقي فقال المفكر الإسلامى فضيلة الشيخ الندوى : إن الدعوة إلى الله وشرح محاسن الإسلام وفضائله واطمينان الأذهان والعقول على الحق والصدق تعمل الندوة بوصية حكيمة "كلموا الناس على قدر عقولهم أتريدون أن يكذب الله ورسوله" . (كاروان زندگى الجزء الأول ١٤٢)

(٩) ونقل الشيخ الندوى فى كتابه المرتضى هذه الحقيقة من على مما يؤكد ضرورة وأهمية التقسيم الطبقي فقال عن على قال : كلموا الناس على قدر عقولهم، اتريدون أن يكذب الله ورسوله . (المرتضى للشيخ الندوى: ٢٨٩)

(١٠) وأكد مؤسس الدعوة والتبليغ فضيلة الشيخ محمد إلياس الكاندهلوى فى جماعة الدعوة على التقسيم الطبقي والقيام بالأعمال وبالأساليب التطبيقية وأمر بذلك بكل تأكيد .
فنقل الشيخ الندوى مكتوبا طويلا للشيخ الكاندهلوى قال فيه : أنا أكثر من التأكيد على تكوين جماعة منفردة من كل قوم فلا بد فى هذا الإجتماع أن يقيم جماعة فى موضع "مبئى" لبذل الجهود المكثفة لتشكيل جماعة من كل قوم ومن كل شعب . (مكاتيب مولانا محمد إلياس: ١٣١)

ووجه ذلك أن القرائح والاستعدادات تختلف باختلاف الناس ومنهج الندوة ومسلكها الدعوة إلى الله وشرح فضائلها نظرا إلى الذهن والعقل وصية حكيمة تطابق العقل والنقل والطبعية فالإجتماعات التطبيقية لازمة وضرورية كما يقتضى الكتاب والسنة وأصول الشرع والسيرة النبوية من حيث الأحوال والضرورات واستعدادات الناس الذهنية والفكرية .

فقولك إن مثل هذه الاجتماعات حسب الطبقات سبب لنزول العتاب والتوبيخ كيف

يصح؟ فتدبروا يا أولى الألباب وكان الاجتماعات الطبقية تنعقد في عهد كبار التبليغ أمثال الشيخ انعام الحسن وشيخ الحديث محمد زكريا والمفكر الإسلامي الشيخ السيد أبي الحسن على الندوى رحمهم الله تعالى لا يعتبر أحد منهم أنها طريقة سيئة تستلزم العقاب والعتاب ولكن قد اغمضت عينيك من جميع ما قال وقام السلف بأعمال الدعوة وألغيت الاجتماعات الطبقية كلياً لما اجتهدت ثم قلت إن مثل ذلك لا يتصور في الإسلام ويسبب العتاب والتوبيخ فعلى أهل العلم أن يتفكر فيما قلت هل يصح في ضوء الكتاب والسنة؟ وهل يكون زنة في الاجتهاد والدلائل.

وإنما نقول إن هذا يتعلق بأمور النظم والنسق يتخذ لو افتقرت الضرورة إليه ويترك لو لم يفتقر أو تنشأ الآثار المضرة أو في الأحوال الخاصة فأساس اتخاذ أو النهي يعود إلى الضرورة والظرف. فالقول إن هذا يخالف التعاليم الإسلامية والإتجاه الإسلامي والموقف الإسلامي ثم قلت هذا سبب لنزول العتاب والتوبيخ بهذا السبب الإلغاء والنهي والتغليب كل من ذلك ليس بصحيح يدعو أرباب الحل والعقد وأهل العلم ولكنه ملح حتى اليوم على هذا الموقف مما يدعو إلى التفكير والتدبر فيما تعمل في هذه الأحوال.

[٦] الخلوّة والعزلة عاملان قويان يقنطان إصلاح الأمة

وقال في خطابه: التنقل والتحرك في سبيل الله ذريعة متينة للتربية والتزكية مهما يكن التنقل والتحرك يزداد التربية والتزكية فالخلوة والعزلة تدفع إلى قنوط إصلاح الأمة وتيئسان لن تنال الأمة الخير بأى عمل ورياضة وخلوة وإنما شرط كون الأمة خير أمة إذا كانت تتصف بالدعوة إلى الخير لو كانت الأمة كلها عاملة بالدين كله ولكن لا تتصف بالدعوة إلى الخير فلا تكون خير أمة الراهب عبارة عن عابد يعبد الله في مكان خال.

فالتنقل والتحرك ذريعة لنشر الدين ولا ينوب أى شىء منابه هذه سنة قديمة لا مثيل لها فالله جعل اليقين والتغير فى الدعوة فالتنقل والتحرك ليس له بدل وتحصل التزكية في الخروج فى سبيل الله.

وقال بمناسبة أخرى، اختار سيدنا موسى عليه السلام الخلوّة والعزلة وذهب للمناجاة مع الله فارتد خمس مائة ألف وثمانية وثمان الف شخص من بنى إسرائيل .

ماذا يستقر أذهان الأمة فى الخلوّة والعزلة والتصوف والزوايا والرياضة والمجاهدة وما أكثر إساءة للظن بأهل التزكية والزوايا وكم تشق السبيل إلى البعد عنهم؟

بينما أن هذه ضرورة يسلمها كل شخص ولا ينكرها أحد والشيخ محمد الياس كان يهتم بهذه الأمور اهتماما كثيرا.

[٧] لا يقبل الفتح من الخارج.

وقلت فى خطاب فى اجتماع لهربور شارك فىه مئآت آلاف مسلم؛

(١) لا يقبل اللقمة من الشخص الخارج وفى المسلك الحنفى لا يجوز قبول الفتح من الذى يكون خارج الصلاة، وإلا تفسد صلاة كلهم وإنما يقبل الفتح من يشارك فى الجماعة فكثير من الناس لا يبذلون وقتا ولا يشاركون فى التجول الدينى ولا فى التعليم ولا يشاورون لترتيب المساجد يقدمون آراءهم فلو أردتم تقديم الآراء فشاركوا فى الجماعة لان الفتح لا تقبل من الخارج هكذا من لا يشارك فى أعمالكم لا تقبل آراؤه وإن كانت قيمة.

(٢) مثل الأمة كماء جار فاذا كان الماء جاريا لا يقبل الخبث والنجاسة فالماء الجارى يطهر ما ينجس ويذهب بالنجاسة فمسائل الطهارة والنجاسة تتعلق بالماء الراكد لا بالماء الجارى فلا يصح تمثيل العلماء بالآبار والعيون فجاء مثال العلماء فى الحديث المبارك كالسحاب الذى يطوف وينزل.

(٣) مما يجدر بالتوجه أن هذه التمثيلات والخطابات التى القيتها ماذا تحدث الآثار فى النفوس على وجه العموم؟ وقولك لا يقبل الفتح من الخارج ماذا تفهم هذه الأمة معنى هذه الجملة؟ وإنما يفهم افراد الأمة أن من العلماء لا ينتسبون إلى الدعوة بصورة عملية ولا يبذلون أوقاتهم فلا تقبل آراؤهم وإن أفتوا مسألة فقهية وقاموا بواجبات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقدموا الآراء بكل خلوص لأنه لا يقبل لأنهم لا ينتسبون إلى الدعوة نفسها وهذه الأقوال التى القيتها بكل قوة تبعد الناس عن العلماء الأفاضل وتحدث سوء الظن بهم وتشتت صفهم وشملمهم.

فهذه حقيقة أن كثيرا من الناس قد انقطع رباطهم مع العلماء وبعثوا عن العلماء الذين لا ينتسبون إلى الدعوة بصورة عملية.

فلا يسمعون إلى خطبهم ولا يشاركون فى حلقات دروس القرآن الكريم ولا يستلونها عن المسائل الدينية والوجه أن الفتح من الخارج تفسد الصلاة. إنا لله وإنا إليه راجعون

أعرب عن الشكوى المفكر الإسلامى فضيلة الشيخ السيد ابى الحسن الندوى فى كتابه "كاروان زندگى" - أنه أراد أن يقدم التوجيهات والآراء اللازمة للدعوة والتبليغ ولكن لم يقدر آراؤه حق القدر ظنا أن الفتح لا يقبل من الخارج. [كاروان زندگى: ١/٣١٦]

ومما يوسفنا أنك توجه نصائح هذه الكلمات فى تجمع كبير.

ولو نظرنا من حيث الأصل فلا يصح القياس لما يحتوى على الفساد، لان الصلاة لا يصح فيها قبول الفتح من الخارج لو قبله يفسد ولكن هل يصح جعلها مقيساً عليه ثم يصح قياس الدعوة والتبليغ والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على الصلاة؟ كما زعمت. كلاً! لأن

القياس يصح إذا فقد النص. فالأخذ بالقياس مع وجود النص ليس بصحيح بل خطأ كبير فهنا أصول الدعوة والتبليغ والحدود والقيود والآداب موجود فلا حاجة إلى القياس في هذا الباب ومنع بكل تأكيد جميع الفقهاء والأصوليين من القياس إذا كان النص موجوداً.

والأمر الثاني لا بد لصحة القياس أن توجد المماثلة بين المقيس عليه والمقيس وفي هذا الباب فقدت لأن الصلاة عبادة للعين ومقصودة مباشرة وأما الدعوة والتبليغ عبادة للغير فلا يخفى على أهل العلم الفرق بينهما وأحكامهما يختلف بعضها من البعض مثلاً الطهارة شرط للصلاة وليس بشرط للدعوة والتبليغ، واستقبال القبلة شرط لها وليس بشرط لهما ولا يجوز الكلام والخطاب مع أحد لو تكلم تفسد الصلاة وأما الدعوة والتبليغ فلا يمكن القيام بهما إلا بطريقة الكلام والمخاطبة وقس على هذا البواقي.

فخلاصة الكلام أن أحكام الصلاة وأحكام الدعوة والتبليغ يوجد الفرق بينهما والمعلوم لدى العلماء أن في القياس يجب بين المقيس عليه والمقيس الاشتراك في العلة لان حقيقة القياس ان يتعدى الحكم للاشتراك في العلة وفقدان النص.

فأى علة جامعة توجد في المقيس عليه والمقيس حتى حملت أحكام الدعوة على الصلاة بناءً على ذلك أكدت على منع قبول الفتح من الخارج ثم هذا القياس يخالف النصوص الشرعية لأن النصوص الشرعية لا تتعلق بقيد أو بشرط نحو قوله تعالى: تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: بلّغوا عني ولو آية وقوله ألا فليبلغ الشاهد الغائب، وقوله من رأى منكم منكراً فليغيره بيده الخ ونحو ذلك تدل هذه النصوص دلالة واضحة أن كل شخص يجوز له أن يأمر شخصاً آخر بالمعروف وينهاه عن المنكر وذلك متقيداً بأصول الشرع وآدابه، لم تظهر هنا مسألة الخارج والداخل، فأمر الكتاب والسنة بالدعوة والتبليغ مطلقاً ولا يجوز اختصاص الحكم الشرعي المطلق من القرآن ولا يصح تقييده بدون دليل شرع عند الأصوليين.

ثم حملت مسألة الدعوة والتبليغ على مسألة الصلاة ثم جعلتها مقيساً عليه ثم قستها على الصلاة كل ذلك لا يصح عند فقيه في العالم ولم يرتكب أحد من الفقهاء هذا الخطأ. فقولك لا يقبل الفتح من الخارج غير وجيه وغير معقول لا يتعلق بالشريعة، - حفظ الله هذه الأمة وارحمها - .

أما قولك إن العلماء والمشائخ الذين يقومون بخدمات التصنيف والتأليف والتدريس وتزكية النفوس هم ليسوا بمياه جارية بل راکدة كلهم على شفا جرف من الخطر والنجاسة لو كانوا مياهاً جارية فالنجاسة تتطهر ولو كان المياه الجارية متغيرة ومتعفنة وتبدل الأوصاف الثلاثة فهي طاهرة لما أنها جارية.

لماذا تقطع الأمة بنقل هذه البيانات والتمثيلات رابطة من العلماء والمدارس والمصلحين ؟
ولماذا توقع الناس في معصية سوء الظن بالعلماء.

فمثال العلماء حسب الأحوال والضرورات كالأبار أو السحاب كما جاء في الأحاديث المتعددة مثال العلماء كالبدر الذي يستقر في مكان ويطوف من حيث آثاره وفوائده وأنواره سرا معنويا وظهرأ لا تنظره الأبصار ولكن ينور العالم بأسره فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر. (رواه الترمذى: مشكوة كتاب العلم : ٣٤)

نصح رسول الله ﷺ ابا سعيد الخدري أن رجالا ياتونكم من اقطار الأرض يتفقهون في الدين فإذا اتوكم فاستوصوا بهم خيرا. (رواه الترمذى مشكاة: ٣٤) فشبّه النبي ﷺ بالأبار لإيراد الغلة العلمية كما فضل النبي ﷺ عالما يشتغل بتعليم الدين بعد أداء الصلوات المفروضة ولا يصلى النوافل كما جاء في الدارمي سئل رسول الله ﷺ عن رجلين كانا في بنى إسرائيل أحدهما كان عالما يصلى المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير، والآخر يصوم النهار ويقوم الليل أيهما افضل قال رسول الله ﷺ فضل هذا العالم الذي يصلى المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير على العابد الذي يصوم النهار ويقوم الليل كفضلى على أدناكم. (مشكاة: ٣٦ ، دارمى)

كما شبّه المحدثون الكثيرون أهل الحديث وإفادتهم ودرسهم بالأبار والعيون الجارية وشبّه من ينشر المضامين والمقالات الخاطئة بالعين المرة والمالحة، حماد بن زيد يقول لرجل بعد ما جلس مهدى ابن هلال بأيام ما ما هذه العين المالحة ؟ (مسلم : ١٨٨١)
فثبت بهذه الأمثال أن تشبيه العلماء بالأبار والعيون ثابت بأحاديث و بهذا عمل المحدثون ولكن عجيب جدا أنك تقول تشبيه العلماء بالأبار والعيون ليس بصحيح وتصر على أن العلماء كالسحاب الذي يطوف.

[٨] وقفة عن قراءة الأدعية في القومة والإصرار على ذلك

أنت تؤكّد الأمة المسلمة على الخشوع والخضوع فى الصلوات وينبغى أن تؤكّد على ذلك كما كتب فى صدد ذلك فضيلة الشيخ زكريا فصلا كاملا .

ولكنك تؤكّد تأكيدا بليغا حتى تكون الركوعات والسجّادات والقومات طويلة جدا. ويقرأ التسبيحات فيها بعدد كثير ولا بد من قراءة الدعاء الذى ورد فى الحديث المبارك فى حالة القومة ولديك هذا مستوى الخشوع فى الصلوات وتذكر فى خطبك المتعددة مثل هذه الكلمات وتلجّ على ذلك وتقول إن الصلوات التى تضم ركوعاتها وسجّاداتها فهى مخالفة للخشوع وتنكر

على ذلك وسمعت خطاباً أكدّت فيه بكل تأكيد ووضوح قائلاً: مما يعجبني أن الأئمة الذين يقومون من الركوع ولا يأتون الدعاء الوارد في الحديث ولا يتيحون لغيرهم فرصة لقراءة الدعاء والدعاء كما يلي:

اللهم ربنا لك الحمد ملاً السموات وملاً الأرض وملاً ما شئت من شئ بعدد أهل الثناء والمجد الخ... وجاء في بعض الروايات ألفاظ أخرى وتعمل بهذا وتلقن الناس على قراءة هذا الدعاء وتعرب عن الإعجاب والنيكير على الأئمة الذين لا يهتمون بهذا الدعاء. ويدل خطابك على أن الخشوع في الصلوات لا يحصل إلا بطول القومة والركوع والسجود وتحسب أنّ تعديل الأركان الواجبة يتوقف على ذلك وتستدل بهذا الحديث "فصل فإنك لم تصل"؛

هنا سؤال هل هذه الكلمات كلها تتعلق بما اجتهدت واستنبطت أو تمثلت مسلكاً فقهياً بينما أن فقهاء الأمة ومحدثوها لم يصرحوا في ضوء الكتاب والسنة ما صرحت به وقال الملا على القارى إن الخشوع يتعلق بالظاهر وبالباطن بالأعضاء وبالقلوب ولا بد من حصول الخشوع أن تؤدى الصلوات وأركانها كلها بأحسن تأدية وفق السنة ويجتنب ما تكره فيها وتهتم بما يستحب فيها وفي المرقاة نص الملا على القارى و خشوعها بإتيان كل ركن على وجه هو أكثر تواضعاً و اخباتاً و خشوعها خشية القلب والزام البصر موضع السجود جمع الهمة لها والإعراض عما سواها ومن الخشوع أن يتوقى كف الثوب والإلتفات والتشاؤب والعبث والتغميض ونحوها وهو يكون في الظاهر والباطن الخ. (مرقاة شرح مشكاة كتاب الطهارة: ١١، ج: ٢/٢٨٦)

وأنت تلح على طول الركوع والسجود لتحقيق تعديل الأركان ولكن شراح الحديث وفقهاء الأمة ليس لديهم هذا مستوى لتعديل الأركان ولا يصح الدعاء الذى تلح على قراءته لتعديل الأركان، إنما قدمت بصدده هذا الدعاء بكل إيجاز التصريحات والفتاوى التى توضح ما قلت إلى أى حدّ صحيح.

[٩] تصريحات وفتاوى الفقهاء المحدثين في تعديل الأركان وقراءة الدعاء فى حالة القومة.

١- فى البدائع وأما إذا كان اماماً فينبغى أن يسبح ثلاثاً ولا يطول على القوم لما روينا من الأحاديث ولأن التطويل سبب التنفير وذلك مكروه ويقول فى السجود سجد وجهى الخ. وهو عندنا محمول على النوافل.

٢- وإذا رفع أى من الركوع قال اللهم ربنا لك الحمد الخ وعند أبى حنيفة ومحمد ذلك كله محمول على التطوع والتهجد فإن الأمر عنه واضح ويؤيده ما ثبت فى صحيح أبى عوانه وسنن

النسائي أنه عليه السلام كان إذا قام يصلى تطوعا قال الله اكبر وجهت الخ فيكون مفسرا لما في غيره. (كبيرى شرح منية المصلى: ٣٦)

٣- اللهم ربنا لك الحمد ملاً السموات الخ.. اي يزداد فى النوافل. (مرقاة شرح مشكوة: ج٢/٥٥١)

٤- وجلس كل مصل بين السجدين وليس فيه ذكر مسنون والوارد فيه محمول على التهجد (مراقى الفلاح: ص ٢٨٤)

٥- ثم يرفع رأسه من ركوعه مستمعا ويكتفى به الإمام. (الشامى: ٣٦٧)

٦- فإن كان إماما يقول سمع الله لمن حمده وهو الصحيح. (عالمگیری: ٧٤)

٧- وبتطويل القومة والجلسة الذى ذكره أنس بن مالك فى حديثه لم يأخذ أحد من الأئمة جمهورهم إلا الظاهرية فلعله كان ذلك فى إبتداء الأمر ثم أمر بالتخفيف بعده او فعل هذا فى صلاة النفل. (بذل المجهود شرح ابى داؤد: ٦٩/٢)

٨- تعديل الأركان أى تسكين الجرائح قدر تسبيحة فى الركوع والسجود وكذا فى الرفع منها فيمكث فى الركوع والسجود وفى القومة بينهما حتى يطمئن كل عضو منه.

[١٠] فتوى حكيم الأمة الشيخ التهانوى

سؤال ١٨٨: كتب فى هذه الرسالة دعاء ماثور عن القومة والجلسة واستدل بحديث رواه مسلم وإمام هذا المسجد ينكر الدعاء فى الفرائض فالإلتماس أن ترشد إلى دليل النهى.

جواب: المقدمة الأولى الأصل فى الفرائض أن يتم أدائها مع الجماعة والمقدمة الثانية يقتضى بعض الأحاديث أن يخفف الإمام الصلاة.

المقدمة الثالثة: فهذه الأنكار تستلزم التطويل فهذه الأنكار محمولة على التطوع بالمقدمات الثلاث والتفصيل يوجد فى المطولات ونقل فى إعلاء السنن حسب ماتقتضيه الضرورة. (امداد الفتاوى: ٢١١/١)

قد تبين ما صرح الفقهاء والمحدثون من حقيقة تعديل الأركان والأدعية المأثورة الطويلة فى القومة والسجدين هو أن الإمام لا يأتى بهذه الأدعية فى القومة بل تتعلق بالنوافل والتهجد وأيضا تعديل الأركان عبارة عن تسكين الجوارح وتسكينها وهذا لا يتوقف على قراءة هذه الأدعية فنظرا إلى التفصيل الذى اعلاه.

هل يصح ماقلت فى جمع كثير أنا أكثر تعجبا أن الأئمة الذين لا يأتون بهذه الادعية فى القومة ولا يتيحون فرصة لغيرهم حتى يقرؤها؟.

هل يصح النكير على عدم قراءتها وماظهر مما قلت من سوء الظن بالعلماء وتمثيل المسائل كيف يمكن حل ذلك؟ وكيف يتدارك ماقال؟ فتدبر.

[١١] الخروج والنفير من أوامر الله فعدم الخروج يسبب سخط الله

ألقيت ضوءاً على أهمية الخروج في سبيل الله قائلاً: إن قلة التنقل والخروج في سبيل الله تؤدي إلى غضب الله تعالى وسخطه لو فهمتم أن هدف الدعوة لتصح الصلوات ويعلم أركانها وواجباتها وسننها فهذا ليس بصحيح بل نفس الخروج في سبيل الله مما أمر الله به فإذا أمرتم بالخروج فاخرجوا في سبيل الله فقال الله تعالى "انفروا خفافاً الخ.." قد انتهى الأمر بالنفير العام ولكن لم ينته حكم مطلق النفير وقد خلف ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ ولم يشاركوا في غزوة تبوك لا يوجد أحد في المدينة أن يتكلم معهم إشارة إلى أن قلة النقل والحركة أو عدمهما موجب لسخط الله تعالى، إنهما من أقوى أسباب المغفرة إذا حضر الموت أحداً يخرج في سبيل الله وهو في الرحلة البحرية لا يتوفى الملائكة روحه بل يتوفاها الله نفسه بينما يتوفى الملائكة أرواح الأنبياء عليهم السلام ولكن من الشرف والمجد أن الله يتوفى روح من يخرج في سبيل الله لا يغيبن عن بالكم أن هذه الفضائل كلها إنما هي للقتال والجهاد كلا! بل جميعها يثبت للخروج في سبيل الله قال الله تعالى "فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة..." الآية.

فقدمت دعاوى وكلمات تحتاج إلى التدبر والبحث والفحص عنها وأيضاً بعضها لا يصح بل غلط مطلقاً.

الأول : إنما اعتبرت نفس الخروج من المقاصد كأن الخروج ليس من الأسباب والوسائل بل من المقاصد هذا رأى ليس بسديد وفكرة خاطئة .

والثاني : الأمر بالنفير العام مستدلاً بـ "انفروا خفافاً" من الأخطاء الواضحة الصريحة. ارتكبت التحريف المعنوي بما فهمت مثل هذا وعينت مصداقه بهذه الآية الكريمة فالجهاد إذا توفرت شرائطه فرض الكفاية في عموم الأحوال وفي بعض الأحوال الخاصة التي بينها الفقهاء يصير فرض العين حتى أن الغلام يجوز له الخروج في سبيل الله بدون إذن سيده.

فهذا يتعلق بالنفير العام وأما الأحوال بمناسبة غزوة تبوك اقتضت النفير العام فلذا وجب الجهاد والخروج على كل شخص، فهذه الآية الكريمة التي تتعلق بخالص الجهاد والقتال وتتعلق بصورة الجهاد الخاصة فتطبيقها على الدعوة والتبليغ ومن لا يخرج يستحق هذا الوعيد الشديد هذا أيضاً من التحريفات الواضحة في القرآن الكريم ومن الكبائر. وأما ما ثبت من الفضائل للجهاد فهي تثبت لمن يخرج في سبيل الدعوة والتبليغ يمكن الصحيح من وجه لا بكل الوجوه ولا يصح على الإطلاق فبموجب الوجه الصحيح لا ينحصر مصداقه على الخارجين في سبيل الدعوة والتبليغ بل هذه الفضائل بهذا الوجه تثبت لطلاب العلم والسائلين عن المسائل الدينية والمستفتين الفتاوى والمقبلين لعيادة المرضى والمتوجهين إلى المساجد لأداء

الصلوات كل من ذلك يدخل في سبيل الله وتثبت فضيلة الخروج لكل أحد.

فالخطاب إلقاءه قعلى وجه ينحصر به جميع الفضائل على الخارجين في سبيل الدعوة والتبليغ فقط هذا من أكبر الأخطاء وأما إثبات فضائل الجهاد للدعوة والتبليغ فلا يصح على الإطلاق. وأيضا قلت خلال خطابك: إن الغلو عبارة عن إنكار الحق هذا ليس بسديد بل الغلو عبارة عن التجاوز عن حدود الله تعالى.

[١٢] الأقوال المتفرقة

وأنت قلت في هذه الرحلة في مسجد الندوة إن العلم والذكر لدى شيعى واحد، العلم هو نفس الذكر فلا فرق بينهما واستدلت بـ "فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون" فالدعوى لا يؤيدها الدليل ويخالف الآيات الكثيرة من القرآن الكريم والاحاديث النبوية وأقوال المفسرين والمحدثين والمقام لايسع التفصيل فان التفصيل يقتضى البسط والمقالة.

وأكدت في هذا الخطاب جميع الطلاب أكيدا بليغا ووجهتهم على الاشتغال بالتجارة والدعوة والتدريس، قوموا بهذه الأعمال الثلاثة معاً، فالتدريس يكون بدون أجره وبدون راتب فقوموا بالتدريس مجاناً دون أجره واتخذوا التجارة للمعاش والاقتصاد فهذه الأفكار مما اسفر عن قلة المطالعة وقلة التجربة وعدم الوقوف على الاتجاهات الدينية والأفكار الإسلامية للعلماء الكبار أما التدريس مع أجره ليس بمكروه وليس خلاف الأولى.

وليس بمناف للخلوص والديانة بل تدل توجيهات كبار العلماء على أن التدريس يكون بالأجره فقالوا: خذوا الرواتب لو كانت حاجة إلى ذلك فبها ونعمت وإلا اجمعوا في المدارس الدينية ولو قمتم بالتدريس بدون رواتب وأجره فتكونون فرائس للنفس والشيطان ثم تغيبون عن الدرس يوماً فيوماً وتقصرون في أداء مهمة التدريس وتدرسون بدون مطالعة الكتب ولا تكملون المقرر الدراسي و النفس تخادعكم بأنكم تدرسون في سبيل الله ويغضض الناس عن هذه التقصيرات بهذه الأمور وتوقعون انفسكم في العجب والكبر وهذه اسرار افادها العلماء الكبار.

وزعمت أن هذه الأقوال ليس لها وزن لذا يبذل في توعية الطلاب أن يدرسوا بدون أجره واتجروا مع التدريس ويعتقد من يتعلق بك عقيدة ومحبة أن هذه التصريحات والخطابات قد اللهم الله. على قلب شيخهم ومرشدهم ونحن غافلون عن هذا ولم يوجه قبل أحد من المتقدمين إلى هذا.

ولمحة تقتضى التدبر والتفكر هل يمكن الاشتغال بالتجارة مع التدريس والأعمال العلمية؟ وهل يمكن إلقاء الدرس متخلياً مع التجارة؟ وقد بين القرآن وجهة النظر عن توزيع الأعمال فبعض الناس يستغلون بطلب العلم وبعضهم بفن مفيد آخر كما كتب فضيلة المفتي

محمد شفيع فى تفسيره معارف القرآن فانظر إلى تفسير آية " فلولا نفر من كل فرقة الخ.....
وقال حكيم الأمة اشرف على التهانوى من يريد الاشتغال بالدرس والتدريس فلا ينبغي له
ان يشتغل بالتجارة ونهاه بكل تأكيد عن الأشغال الاخرى ونبهه إلى خسائر فادحة وأنت
أشرت الطلاب إلى الأخذ بالتجارة مع التدريس هذا أعجب الأعجاب. وأيضا أنكر فضيلة
الأشغال العلمية والأعمال الدينية بالنسبة إلى التطوعات والنوافل مع أن الحديث المبارك جاء
فى عالم يكتفى بالفرائض ويشتغل بالتعليم والتعلم له فضيلة على العابد يسهر الليالى.

طلب مؤدب من السادة العلماء

لم يتفق لى سماع ما خطبت فضيلة الشيخ سعد إلا خطبتين او ثلاث خطب وفهمت أن هذه
الكلمات جديرة بالإصلاح وشعرت أن الدين لا يكون تعبيره صحيحا ولا يكون الهداية صحيحة
للأمة ولا يحصل توجيه سديد للنفوس مما يضر الدين والامة ضرراً بالغاً ويضعف أواخى عامة
الناس من العلماء وتنقطع حركة الدعوة والتبليغ من المدارس والزوايا وأنت تبين فى خطابتك
تفسيرا لم يفسه أحد من المفسرين وترتكب تحريفا معنويا فى القرآن الكريم وتقدم المسائل
الخاطئة التى لم يذهب إليها أحد من العلماء والأحكام التى لا تصدقها الشريعة والكلمات التى
تتصف بالافراط والتفريط فى شأن الأنبياء والصحابة.

فيجب على جميع العلماء كفرض الكفاية الحفاظ على ذلك والتدارك على ما فرط منه.
وقدمت مؤخرا إلى حضرة الشيخ سعد مثل هذه الكلمات وهى تحتوى على ثمانى عشرة
صفحة ولكن هذه الأعمال الجليلة تحتاج إلى رعاية علماء الأمة وإرشادهم.
وإنما قدمت كلمات وزلات كنماذج كما تقتضى الحاجة الى ذلك وكل من ذلك سمعت أذناي.
لو بحث عما تقول فى الاجتماعات الكبيرة من خطب وبيانات واستعرضت لعلم أن معظم
الأقوال تعدل عن جادة الحق والوسط. لايعني ذلك أنني أودّ النيل من شخص - لاسمح الله -.
لم أقدم هذه الأخطاء لبغض أو عناد وحسد على شخصية وإنما قمت بهذه الخدمة نظرا إلى
الحفاظ على الدين والأمة.

يلتمس كاتب هذه السطور بكل أدب واحترام من جميع العلماء والمسؤولين وأرباب الحل
والعقد أن يتوجهوا إلى ذلك رغم أن لديكم مشاغل علمية ولا تجدون فرصة لها فالمناسب أن
يتخذ خطوات مناسبة تحافظ على شمل الأمة وعلى ما يضر الأعمال التبليغية.
ويمكن ان يستعرض العلماء الكرام المعتمد عليهم والموثوق بهم بكل ديانة جميع خطابات
الشيخ سعد.

وذلك تحت رعاية أرباب الحل والعقد وأكابر الأمة ثم يرسلوا الأقوال التى تفتقر إلى

الإصلاح والتبديل بعد ما يرتبونها ويصلحونها في ضوء الكتاب والسنة إلى فضيلة الشيخ سعد بواسطة الأرباب والمسؤولين لكي يجتنب تكرير مثل هذه البيانات ويفكر في ما قال ويطلع الكتب القيمة التي فيها العلماء المحققون مثلاً حكيم الأمة الشيخ أشرف على التهانوي رحمه الله لكي يسلم من الأخطاء في المستقبل ولو لم تجد أنت تحمل هذه المسؤولية ولم تعزم ولم تقدر على أداء حق الأمانة فعليك أن تعمل وتقوم بالأعمال الصالحة وذلك رعاية ومشورة من يتمتع بالديانة والكفاءة للحفاظ على هذه الأمانة القيمة.

فخلاصة الكلام أن هذه الأعمال مستها الحاجة الملحة إلى الحفاظ عليها وإنى أخاف لو ألقيت مثل هذه الخطابات التي تعدل عن الاعتدال في مجمع عام وتشيع - لا قدر الله - فهذه الجماعة المفيدة وأعمالها المجيدة التي هي نعمة علينا فتعود علينا لعدم قدرها ورعايتها والحفاظ عليها نقمة ومصيبة ووبالاً.

اللهم سلمنا من هذه الآفات.

لو وفقني الله تعالى أقدم مثل هذه الكلمات في المستقبل إن شاء الله تعالى.

محمد زيد المظاهري الندوي

استاذ الحديث بدارالعلوم التابعة لندوة العلماء لکنائو